

3-2-2019

## رأي محمد رشيد رضا في أشراط الساعة الكبرى - دراسة نقدية - The Opinion of Muhammad Rashid Rida in the Great Signs of the Afterlife Major Hour - A Critical Study -

Meshary Al-Matraki

-

Mohammed Khair Hassan Al-Omari  
Al-albayt University, mk\_alomari@yahoo.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois>



Part of the [Islamic Studies Commons](#)

### Recommended Citation

Al-Matraki, Meshary and Al-Omari, Mohammed Khair Hassan (2019) "رأي محمد رشيد رضا في أشراط الساعة الكبرى - دراسة نقدية - The Opinion of Muhammad Rashid Rida in the Great Signs of the Afterlife Major Hour - A Critical Study -," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 15: Iss. 1, Article 16.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/16>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

## رأي محمد رشيد رضا في أشراف الساعة الكبرى - دراسة نقدية -

أ. مشاري المطرقي\* د. "محمد خير" العمري\*\*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/١١/٢٩ م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٢/١١ م

### ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان رأي الشيخ محمد رشيد رضا في علامات الساعة الكبرى كالدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور المهدي، وطلوع الشمس من مغربها. وبينت الدراسة ثبوت وقوع هذه الأشراف من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، كما بينت إنكار الشيخ رشيد رضا لهذه الأشراف متأثراً بالمدرسة العقلية التي تتكرر هذه الأمارات، وحاولت الدراسة الرد على آرائه بالدليل والبرهان.

### Abstract

This research aims to focus on Sheikh Muhammed Rashid Rida's point of view regarding afterlife's major hour signs such as al Dajal (Antichrist), the descent of Jesus - peace be upon him -, the emergence of the Mahdi, and the sunrise from the west. The study stated that proving afterlife's major hour signs should be based on Quranic verses and authentic Sunnah of the Prophet. The researcher has demonstrated that Sheikh Rashid Rida's has denied these signs influenced by the rational school that also denied these signs. This study has sought to discuss Sheikh Muhammed Rashid Rida's points of view based on evidence and proof.

### المقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن هناك علامات وأشرافاً تسبق قيام الساعة، وإن من هذه العلامات والأشراف ما قد ظهر وانقضى كبعثة النبي ﷺ وموته وانشقاق القمر وغيره، وإن من هذه العلامات والأشراف ما قد ظهر ولا يزال يكثر كأن ترى الحفاة الرعاة يتناولون في البنين، وكثرة الهرج والمرج، وانتشار الزنى وكثرة النساء، وغيرها. وإن من هذه العلامات والأشراف ما لم يظهر بعد، وإنها إذا ظهرت فإن الساعة قد اقترب قيامها مما لا ريب فيه، وهي ما يطلق عليه عند أهل العلم أشراف وعلامات الساعة الكبرى، ومنها (نزول عيسى ابن مريم، وخروج المسيح الدجال، وخروج المهدي المنتظر، وطلوع الشمس من مغربها). وقد ثبت صحة وقوع هذه الأشراف والعلامات في كتاب الله والسنة النبوية الصحيحة الصريحة المتواترة، وقد ذكر جمع من أهل العلم نقل الإجماع على صحة هذه الأخبار والآثار الواردة في أشراف الساعة الكبرى. ولم يخالف في هذه المسألة إلا نزر يسير من أهل العلم والفضل ومنهم أصحاب المدرسة العقلية الحديثة وعلى رأسهم

\* باحث.

\*\* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة آل البيت.

محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، وذلك بدعوى التعارض والتناقض فيما بينها، أو أن أحاديثها لا تصح، أو أنها مخالفة للسنن الكونية، وغيرها من الأمور التي سوف نتطرق لذكرها في ثنايا بحثنا هذا.

### مسوغات اختيار الموضوع.

هناك كثير من الأسباب والمسوغات التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه، ولعل من أهم هذه الأسباب والمسوغات ما يأتي:

- ١- الرد على التساؤلات والشبهات التي نثار حول أشراف الساعة الكبرى وتحاول التشكيك والظعن في صدق وقوعها.
- ٢- عدم وجود دراسة عقديّة تحليلية حول آراء محمد رشيد رضا في أشراف الساعة الكبرى.
- ٣- بيان خطورة رد الأحاديث الصحيحة لاسيما التي في كتابي البخاري ومسلم، واللذين هما أصح الكتب بعد القرآن، وقد تلقتهما الأمة بالقبول بدعوى أنها تعارض القرآن أو تعارض العقل.
- ٤- بيان خطورة إنكار وقوع علامات وأشراف الساعة الكبرى، لاسيما وأنها ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة الصريحة المتواترة بمجرد دعوى التعارض فيما بينها.

### الدراسات السابقة.

(١) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف دراسة تطبيقية على تفسير المنار، لشفيق عبد الله شقير، وهو عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد في باكستان، وهي مكونة من ٤٣٠ صفحة تقريباً، تطرق في مبحث كامل من الدراسة عن موقف محمد رشيد رضا من أحاديث الاعتقاد، وذكر مثلاً لذلك موقفه من أحاديث أشراف الساعة الكبرى وأحاديث سحر النبي وغيرها من الأحاديث، حيث كان يذكر آراء محمد رشيد رضا ويرد عليها ولكن بشكل مجمل وسريع بحيث لم يستوعب جميع الشبه والتساؤلات والاعتراضات التي ذكرها الشيخ في تفسيره، لاسيما التي تختص بأشراف الساعة الكبرى والتي هي مدار بحثي، كذلك عند ذكر شبه وتساؤلات محمد رشيد رضا لم يتوسع في الرد عليها وتفنيد الشبه والاعتراضات والتساؤلات وتفنيد دعوى الشيخ بالتعارض فيما بينها، وحشد الأدلة والبراهين والحجج على عدم صحة ما ذهب إليه؛ وذلك لأن الباحث ذكر هذا المبحث على سبيل المثال لا على سبيل دراسة هذا المبحث دراسة متكاملة من جميع الاتجاهات.

كتاب "منهج محمد رشيد رضا في العقيدة"، لتامر محمود متولي، وهو عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهي مكونة من ٩٨٥ صفحة تقريباً، ذكر فيها جملة من آرائه العقديّة في الأسماء والصفات، وفي توحيد الألوهية، وفي التوسل، وفي البدع، وفي القدر، والملائكة، والكتب، والرسول، والجن، والشياطين، وفي عصمة الأنبياء، وفي آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، والخوارق، واليوم الآخر، وفي الساعة وأشرافها مع بيان ما لها وما عليها، ولكن دون التطرق للأثار الفكرية لآرائه العقديّة.

وفي الحقيقة، إن هذه الدراسة من أجمل ما كتب عن آراء محمد رشيد رضا العقديّة؛ حيث ذكر المؤلف أنه أمضى أكثر من ثلاث سنوات في كتابة رسالته هذه.

(٢) كتاب "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير"، لفهد بن عبد الرحمن الرومي، وهو عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت

في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وهي أيضا مكونة من ٨٠٠ صفحة تقريبا، تكلم فيها عن رجال المدرسة العقلية الحديثة ومنهجهم في التفسير وموقفهم من بعض القضايا القرآنية كالوحي، والقضاء والقدر، والمعجزات، وعقيدة البعث، وأمّارات الساعة، وأصل الإنسان، والملائكة، والجن، وغيرها دون التوسع في الرد على الآراء العقديّة لأصحاب المدرسة العقلية الحديثة عموماً، وعلى آراء محمد رشيد رضا في المنار خصوصاً في مسألة أشراف الساعة الكبرى.

### أسئلة الدراسة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تخص موضوع البحث، ومن أهمها:

- ١- ما عقيدة الشيخ رشيد رضا في أشراف الساعة الكبرى؟
- ٢- بما استدلل رشيد رضا على آرائه في أشراف الساعة الكبرى؟
- ٣- ما الرد على استدلالاته واستشكالاته تجاه أشراف الساعة الكبرى؟

### خطة البحث.

#### المقدمة.

المبحث الأول: معنى أشراف الساعة وأقسامها.

المطلب الأول: معنى أشراف الساعة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أقسام أشراف الساعة.

المبحث الثاني: ظهور المسيح الدجال.

المطلب الأول: تواتر أحاديث المسيح الدجال.

المطلب الثاني: موقف الشيخ رشيد رضا من أحاديث الدجال.

المطلب الثالث: الرد على إشكالات الشيخ رشيد.

المبحث الثالث: نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

المطلب الأول: رأي الشيخ رشيد رضا في نزول عيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: الرد على رأي الشيخ رشيد.

المبحث الرابع: المهدي المنتظر.

المطلب الأول: تواتر أحاديث المهدي.

المطلب الثاني: رأي رشيد رضا في أحاديث المهدي.

المطلب الثالث: الرد على استشكالات الشيخ وتساؤلاته.

المبحث الخامس: طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الأول: رأي رشيد رضا في طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الثاني: الرد على رشيد رضا في طلوع الشمس من مغربها.

الخاتمة.

## المبحث الأول:

### معنى أشراف الساعة وأقسامها.

#### المطلب الأول: معنى أشراف الساعة في اللغة والاصطلاح.

**معنى الشرط:** الشرط هو العلامة وجمعه أشراف.

وأشراف الساعة أي: علامتها، فهي العلامة التي تدل على قرب قيام الساعة<sup>(١)</sup>.

**الساعة في اللغة:** هي جزء من أجزاء الليل والنهار، جمعها ساعات.

وجزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار. والليل والنهار معاً أربعة وعشرون ساعة<sup>(٢)</sup>.

**معنى الساعة في الاصطلاح:** المراد بالساعة في اصطلاح الشرع، هو الوقت الذي تقوم فيه القيامة وسميت بذلك؛ لأنها

تفاجئ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة<sup>(٣)</sup>.

**فأشراف الساعة:** هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل عليها<sup>(٤)</sup>.

#### المطلب الثاني: أقسام أشراف الساعة.

إن ليوم القيامة ووقوع الساعة علامات وأشرافاً تدل على قرب وقوعها، وتنقسم هذه الأشراف إلى قسمين:

**القسم الأول:** أشراف الساعة الصغرى: وهي العلامات والأمارات والأشراط التي تكون قبل قيام الساعة بأزمان متطاولة، وتكون

من نوع المعتاد، كقبض العلم، وانتشار الجهل<sup>(٥)</sup>، وتضييع الأمانة<sup>(٦)</sup>، والتطاول في البنيان<sup>(٧)</sup> ونحوها. وقد يظهر بعضها

مصاحباً للأشراط الكبرى، أو بعدها.

**القسم الثاني:** أشراف الساعة الكبرى: وهي العلامات والأمارات والأشراط التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة

الوقوع، كظهور الدجال<sup>(٨)</sup>، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام<sup>(٩)</sup>، وخروج يأجوج ومأجوج<sup>(١٠)</sup>، وطلوع الشمس من مغربها<sup>(١١)</sup>.

## المبحث الثاني:

### ظهور المسيح الدجال.

#### المطلب الأول: تواتر أحاديث المسيح الدجال:

صرح الكثير من أهل العلم بتواتر الأحاديث الواردة في المسيح الدجال وقد صرح بتواترها الشوكاني كما نقل ذلك

عنه القنوجي في كتابه الإذاعة، حيث قال: "والأحاديث الواردة فيه كثيرة جداً ذكر منها الشوكاني في كتابه التوضيح مئة

حديث وهي في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد، قال: "وليس المراد هنا إلا بيان كون أحاديث خروج الدجال متواترة،

والتواتر يحصل ببعض ما سقناه، وقد بقيت أحاديث وأثار عن جماعة من الصحابة تركنا ذكرها، ووقفنا على هذه المئة،

التي أشرنا إليها وإلى من خرجها"<sup>(١٢)</sup>.

وقد صرح بتواترها أيضاً ابن حجر وأبو إسحاق الشيرازي، كما نص على ذلك السخاوي في فتح المغيبي، وابن كثير في

الفتن والملاحم، حيث قال بعد ذكر أحاديث الدجال وسبب عدم ذكره بالقرآن: "ولكن انتصر الرسل لجانب الرب ﷻ فكشفوا لأممهم

عن أمره وحذروهم مما معه من الفتن المظلة والخوارق المضمحلة فاكتفى بأخبار الأنبياء وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم"<sup>(١٣)</sup>.

وقد عنون الإمام أبو داود في سننه باباً أسماه: "باب في تواتر الملاحم"، وساق فيه أحاديث فيها ذكر الدجال<sup>(١٤)</sup>. ونص على التواتر أيضا الكتاني في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، حيث قال: "والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول عيسى ابن مريم عليه السلام"<sup>(١٥)</sup>، وقال أيضاً: "خروج المسيح الدجال ذكر غير واحد وأنها واردة من طرق كثيرة صحيحة عن جماعة كثيرة من الصحابة، وفي التوضيح للشوكاني منها مئة حديث وهي في الصحاح والمعاجم والمسانيد والتواتر يحصل بدونها فكيف بمجموعها، وقال بعضهم أخبار الدجال تحتل مجلدات، وقد أفردتها غير واحد من الأئمة بالتأليف"<sup>(١٦)</sup>. ونقل الأبي في شرحه على مسلم قول بن رشد: "الأشراط عشرة المتواتر منها خمسة: الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وظلوع الشمس من مغربها"<sup>(١٧)</sup>. وقال المعلمي -رحمه الله- في الأنوار الكاشفة: "فأما ذكره الدجال فمتواتر قطعاً ومن اطلع على ما في صحيح البخاري وحده علم ذلك"<sup>(١٨)</sup>.

### المطلب الثاني: موقف الشيخ رشيد رضا من أحاديث الدجال.

يقول الشيخ رضا: "إن أحاديث الدجال مشكلة من وجوه: أولاً: منافاتها لحكمة إنذار القرآن الناس بقرب الساعة وإتيانها بغتة. ثانياً: ما ذكر فيها من الخوارق التي تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولى العزم من المرسلين أو تفوقها، وتعد شبهة عليها كما قال بعض علماء الكلام وعد بعض المحدثين ذلك من بدعتهم. ومن المعلوم أن الله ما آتاهم هذه الآيات إلا لهداية خلقه، التي هي مقتضى سبق رحمته لغضبه، فكيف يؤتي الدجال أكبر الخوارق لفتنة السواد الأعظم من عباده؟ فإن من تلك الروايات أنه يظهر على الأرض كلها في أربعين يوماً إلا مكة والمدينة، وقد روى أبو نعيم في الحلية عن حسان بن عطية<sup>(١٩)</sup> من ثقات التابعين أنه لا ينجو إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة"<sup>(٢٠)</sup>. وقال الحافظ: وهذا لا يقال من قبل الرأي فيحتمل أن يكون مرفوعاً أرسله، ويحتمل أن يكون أخذه عن بعض أهل الكتاب أ.هـ"<sup>(٢١)</sup> وهو الصحيح المختار عندي. ثالثاً: وهو من متعلقات ما قبله أن ما عزي إليه من الخوارق مخالف لسنن الله تعالى في خلقه، وقد ثبت بنصوص القرآن القطعية أنه لا تبديل لسننته تعالى ولا تحويل. وهذه الروايات المضطربة المتعارضة لا تصلح لتخصيص هذه النصوص القطعية ولا لمعارضتها.

رابعاً: اشتغال بعض هذه الأحاديث على مخالفة بعض القطعيات الأخرى من الدين كتخلف أخبار الرسل، أو كونها عبثاً وإقرارهم على الباطل وهو محال في حقهم. خامساً: أنها متعارضة تعارضاً كثيراً يوجب تساقطها"<sup>(٢٢)</sup>. وبين بعض أوجه التعارض<sup>(٢٣)</sup> فيما يراه تعارضاً وقال: "وقد حاول شراح الصحيحين وغيرهم الجمع بين الروايات المتعارضة في كل مسألة، فجاءوا بأجوبة متكلفة للجمع بينها وردّها المحققون كلها أو أكثرها"<sup>(٢٤)</sup> بل ذهب إلى اعتبار بعضها مما تعارض فتساقط"<sup>(٢٥)</sup>.

### المطلب الثالث: الرد على إشكالات الشيخ رشيد.

يرى الشيخ رشيد رضا: "أن أحاديث المسيح الدجال مشكلة من وجوه عدة".

الإشكال الأول: "أنها منافية لإتيان الساعة بغتة".

وفي الحقيقة أنه لا تعارض ولا منافاة بين مجيء الساعة بغتة ووجود أمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها؛ فالعلامات والأمارات قد تكون بعيدة عن قيام الساعة كبعثة النبي ﷺ وموته والتطاول في البنيان.

فلا تعارض -إن- ولا منافاة بين وجود الأمارات، ومجيء الساعة بغتة.

ثم أن هناك فرقا بين الساعة وأماراتها كما ورد في حديث جبريل ﷺ، الذي ورد في الصحيحين عندما سأل جبريل النبي ﷺ عن الساعة، فقال ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، فقال جبريل ﷺ: فأخبرني عن أماراتها، أي: عن أمارات الساعة ولا أظن أن الشيخ ينكره، ثم إن بعثه النبي ﷺ من أعظم علامات الساعة، كما ذكر الشيخ من قبل، فلا ينافي هذا كون إتيان الساعة بغتة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

فأمارات الساعة -إن- مما يستأنس به المؤمنون ويزيدهم إيمانا<sup>(٢٦)</sup>.

فالأمارات تجعل البشر يستعدون للساعة، وكأنها مقبلة الآن، فنكون حاضرة في وجدانهم، وإن لم تكن حاضرة في واقعهم، وتجعلهم يتوقعونها في كل آنٍ وحينٍ مع جهلهم بوقتها<sup>(٢٧)</sup>.

قال القرطبي: "والحكمة في تقديم الأشرطة ودلالة الناس عليها تنبيه الناس على رقتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإقامة؛ كي لا يباغثوا بالحوال بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشرطة الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها"<sup>(٢٨)</sup>.

**الإشكال الثاني:** الخوارق التي وردت في أحاديث الدجال تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولى العزم من المرسلين أو تفوقها. فالشيخ رشيد رضا يرى أن ما ذكر عن المسيح الدجال. وما سيأتي به من خوارق الأمور والأعمال التي تبهر العقول وتحير الألباب، مشابه أو مساوي لما أيد الله به أولى العزم من المرسلين من المعجزات والكرامات، فيشبه الأمر على الناس، فيظنونه رسولا من الرسل.

وهذا بحد ذاته يُعد شبهة وإشكالا كبيرين عند رشيد رضا، وهذه الشبهة أو الإشكالية برأيه كفيلة برد كل الأحاديث التي ذكرت في المسيح الدجال.

والحقيقة، أنه لا شبهة ولا إشكال فيهما، فالأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- مؤمنون بالله مقرون ومعترفون بربوبيته على خلقه، ومقرون ومعترفون بأن ما جاءوا به من المعجزات إنما هو بتأييد الله لهم؛ ليعلم الناس صدقهم وصدق ما جاءوا به من الشرائع والأحكام، وأنهم ما أرسلوا إلا لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه.

بعكس المسيح الدجال، فهو وإن جاء ببعض الأعمال والأمر العظيمة التي تبهر العقول وتحير الألباب كإحياء الموتى وأمره للسماء أن تمطر فتمطر وغيرها من الأمور، فإن أمره واضح للناس المعاصرين له وبين لمن ثبته الله في تلك الفتنة وربط على قلبه؛ وذلك أن الدجال لم يدع النبوة فيلبس أمره على الناس، وإنما ادعى الألوهية ودعا الناس إلى عبادته والكفر بعبادة الله، وهو مع دعوته الناس إلى أتباعه وطاعته فهو ناقص ومعيب ومشوه الخلق، فهو أحقر وأذل أن يدعي هذه الدعوى.

ثم إن النبي ﷺ قد بين وحذر أمته من المسيح الدجال، وبين صفاته وأن من أوضح صفاته أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وأنه أعور، والله تعالى متصف بصفات الكمال والجمال والجلال وليس بأعور.

فيهذا يتبين الفرق بين ما جاء به أولى العزم من الرسل، وما سوف يجيء به المسيح الدجال من أعمال وخوارق، فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الأحاديث ويؤمنون بها وبما دلت عليه، ولا يعدون ما جاء فيها من الخوارق مظنة لردّها، كما

يقول أهل الكلام من المعتزلة والجهمية وغيرهم.

وإن قال بعضٌ منهم بأن ما مع الدجال ليس له حقيقة، وأن ذلك إنما هو في نظر العين وليس بحقيقة، كابن حزم والطحاوي وآخرين إلا أن هؤلاء دليلهم النقل لا غيره؛ حيث تمسكوا بحديث حذيفة بن اليمان وغيره أن ماء نار، وناره ماء بارد<sup>(٢٩)</sup>.

ولا شك أن قول هؤلاء مخالف للصواب، ولما عليه ظاهر الحديث، ولما عليه جمهور أهل السنة والجماعة. وقد رد الحافظ ابن حجر على هذا القول، حيث قال: "إن خوارق الدجال حقيقة وليست بخيالات ولا تمويهات، وهذه الخوارق من الأمور التي أقره الله عليها؛ فتنةً وابتلاءً للعباد، والدجال لا يمكن أن يشتبه حاله بحال الأنبياء؛ لأنه لم يثبت أنه يدعي النبوة حال ظهور الخوارق بين يديه، بل يكون ظهور الخوارق عند ادعائه الربوبية"<sup>(٣٠)</sup>.

أما بالنسبة لقوله: "كيف يؤتي الله ﷻ الدجال هذه الخوارق لفتنة السواد الأعظم من عباده؟ فإن الحكيم العليم - سبحانه - يسأل ولا يُسأل، ومن نحن حتى نسأل الله كيف تفعل كذا وكذا؟! فالخلق خلقه والعبيد عبيده يفعل ما شاء ومتى شاء لا راد لأمره ولا معقب لسؤاله.

ثم إننا لو فتحنا باب (كيف) و(لم) و(لماذا) لفتحنا على الدين وأهله باب شر لن يغلق، يلج منه كل مبغضٍ للدين وأهله، فاسد النية، خبيث السريرة للطعن في الدين وأحكامه وعقائده، ولأصبح الدين مسائل وأفكاراً قابلةً للأخذ والرد على حسب الأهواء والأمزجة. فالأصل بالمؤمن أن يؤمن ويصدق بكل ما ثبت بالكتاب والسنة الصحيحة سواء علم الحكمة من ذلك أو لم يعلم، فقه معناه أو لم يفقهه فذاك أسلم لدينه وخير لعاقبته.

إلا أنني أحبب ما يرى الشيخ رشيد أنه إشكال فأقول: إن الله تبارك وتعالى هو رب الخلق، خلقهم لعبادته وطاعته بفعل أوامره واجتتاب نواهيه، ثم إنه ابتلاه بالشر والخير ليعلم الصادق في عبوديته لربه من الكاذب، فانه ﷻ جعل الابتلاءات والمصائب؛ كي يمحس إيمانهم وصدقهم، فمن صبر واحتسب فله الأجر، ومن جزع واعترض فعليه الوزر. وقد جاء الكثير من الآيات في هذا الصدد.

قال تعالى: ﴿وَلْيَبْلُوتَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَإِن تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَن يَتْرُكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتَّخَلَّوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ۗ مَسَّتْهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. فالإنسان في هذه الدنيا معرض للابتلاء والمصائب والفتن كما ذكرنا في الآيات السابقة؛ اختباراً وامتحاناً له. وفتنة المسيح الدجال من جملة هذه الفتن التي يسأل الإنسان ربه أن يقيه شرها ويسلمه منها. أما قوله: "وقد روى أبو نعيم في الحلية عن حسان بن عطية من ثقات التابعين أنه لا ينجو إلا اثنا عشر ألف رجل



وسبع آلاف امرأة".

فأحسن ما يقال فيه ما قاله ابن حجر في الفتح، حيث قال: "وهذا لا يقال من قبل الرأي فيحتمل أن يكون مرفوعاً أرسله، ويحتمل أن يكون أخذه عن بعض أهل الكتاب" (٣١).

والتابعي إذا تكلم عن أمر غيبي أو أسند شيئاً إلى رسول الله ﷺ يكون من قبيل الحديث المرسل الضعيف الذي لا تقوم به حجة، ثم إن ابن حجر لم يجزم بصحته إلى النبي ﷺ، حيث قال: حسن صحيح إلى حسان بن عطية، ثم قال: أرسله، ثم قال: لعله أخذه من أهل الكتاب، وكلام ابن حجر واضح جلي، فهو حديث مرسل تابعي وهو حسان بن عطية.

والمرسل كما هو معلوم ليس بحجة، قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحة: المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة، وقال النووي في المنهاج معلقاً على كلام مسلم مذهب الشافعي وجمهور المحدثين وجماعة من الفقهاء: إنه لا يحتج بالمرسل (٣٢).

**الإشكال الثالث:** إن ما أعطيه من خوارق مخالف لسنن الله تعالى في خلقه، وقد ثبت بنصوص القرآن القطعية أنه لا تبدل لسننه تعالى ولا تحويل.

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، لابد من معرفة أمر مهم وهو أن هناك فرقاً بين السنن الإلهية الإنسانية، والسنن الإلهية الكونية.

فالسنن الإلهية الإنسانية: لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول، وهي عادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين (٣٣).

والسنن الإلهية الكونية: قابلة للتغيير والتبديل والتحول، والتي هي منهج الله في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه (٣٤). ولابن تيمية كلام جميل يبين فيه ثبات السنن الإلهية الإنسانية، وعدم انخراطها مطلقاً، وأن السنن الإلهية الكونية قد تتخرم وتتبدل وتتحول.

حيث يقول -رحمه الله- في رسالة لفظ السنة في القرآن: "اعلم أنه قد ذكر الله تعالى لفظ سننه في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ۗ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]".

وقال تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۗ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ ۗ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

وقال تعالى ﴿فَلَمْ يَكُ يَفْعَلُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۗ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

ثم قال بعد ذلك: "وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وليست هي السنن المتعلقة بالأمر الطبيعية كسننه في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات.

فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاء من الحكم، كما حبس الشمس على يوشع، وكما شق القمر لمحمد ﷺ وكما ملأ السماء بالشهب، وكما أحيا الموتى غير مرة، وكما جعل العصا حية، وكما أنبع الماء من الصخرة بعصا، وكما أنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ... فالعادات الطبيعية ليس للرب فيها سنة لازمة، فإنه قد عرف انتقاض عامة العادات، فالعادة في بني آدم ألا يخلقوا إلا من أبوين وقد خلق المسيح من أم، وحواء من أب، وآدم من غير أم ولا أب، وإحياء الموت متواتر مرات عديدة، وكذلك تكثير الطعام والشراب لغير واحد من الأنبياء والصالحين... (٣٥).

وما سوف يأتي به المسيح الدجال من خوارق، كإحياء الموتى، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض فتنبت، وغيرها إنما هو من السنن الإلهية الكونية القابلة للتغيير والتبديل.

ثم إنه لا بد من التنبيه إلى أمر آخر وهو أن سنن الله ليس كل ما ألفه الناس فقط، فمن سننه أيضاً ما لا يألفه الناس كإحياء الموتى، وقلب العصى إلى حية، وغيرها من الأمور الأخرى.

ولقد تنبه الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- لهذا الفرق من خلال تفسيره (في ظلال القرآن)، حيث يقول في آخر تفسير سورة الفيل عند كلامه عن السنن: "إن سنة الله ليست فقط هي ما عهده البشر وما عرفوه، وما يعرف البشر من سنة الله إلا طرفاً يسيراً يكشفه الله لهم بمقدار ما يطيقون، وبمقدار ما يتهيأون له بتجاربهم ومداركهم في الزمن الطويل، فهذه الخوارق، كما يسمونها هي من سنة الله، ولكنها خوارق بالقياس إلى ما عهده وما عرفوه..."<sup>(٣٦)</sup>.

فما سوف يأتي به المسيح الدجال من خوارق ليس فيه مخالفة لسنن الله تعالى، بل هو من سنة الله تعالى، ولكنها خوارق وخلاف للسنن بالنسبة إلى مقاييس البشر ولما عرفوه كما ذكر سيد قطب -رحمه الله-.

ثم إن وقت ظهور الدجال هو من مقدمات اليوم الآخر، وفيه تكثر الخوارق، وكان ينبغي للشيخ رشيد أن يطبق قاعدته الصحيحة في أمور الغيب والآخرة، وهي الإيمان بما ورد منها مع تفويض الكيفية<sup>(٣٧)</sup>.

ثم إن ما يعطاه الدجال من الخوارق ليس فيه مخالفة لسنن الله الكونية، فإننا لو أجرينا كلام السيد رشيد رضا على ظاهره لأبطلنا معجزات الأنبياء أيضاً؛ لأنها مخالفة لسنن الله الكونية كذلك، وما يقال في الخوارق التي يُعطاهها الدجال على سبيل الفتنة والامتحان والبلاء، لو سلمنا أن خوارق الدجال مخالفة لسنن الله الكونية، فإننا نقول: إن زمن الدجال تتخرق فيه العادات، وتحدث أمور عظيمة مؤذنة بخراب العالم وزوال الدنيا وقرب الساعة، وإذا كان خروجه في زمن فتنة أرادها الله، فلا يقال: إن الله ألطف بعباده من أن يفتنهم بخوارقه، فهو اللطيف الخبير ولكن اقتضت حكمته أن يبنتلي عباده، وقد أُنذروهم وحذرهم منه<sup>(٣٨)</sup>.

**مناقشة الإشكال الرابع:** وهي قوله: "إنها متعارضة تعارضاً يوجب تساقطها". فالشيخ رشيد رضا يرى أن مجرد وجود شبهة التعارض بين مجموع تلك الأحاديث الصحيحة الصريحة الواردة في المسيح الدجال، والمذكورة في أصح الكتب بعد القرآن وهما صحيح البخاري ومسلم، مجرد وجود تلك الشبهة كفيل برد تلك الأحاديث، وعدم الالتفات إليها عند الشيخ رشيد رضا. ولا يشفع لها عنده صحة أسانيدها وإن كانت أسانيدها من الصحة والاعتبار بمكان.

ثم إننا نقول: إن دعوى التعارض فيما بينها غير صحيحة؛ فالشيخ رشيد رضا يمزج بين الروايات الصحيحة والضعيفة والمقبول منها والمردود، ثم يبني على ذلك نتائجه وما توصل إليه.

وكان الحري بالشيخ رشيد وهو العالم بالسنة والصحيح منها والضعيف، أن يميز الروايات الصحيحة من الضعيفة ثم يحاول بعد ذلك الجمع بين الأحاديث الصحيحة إن كان في ظاهرها تعارض أو تناقض كما يقول. متبعاً في ذلك منهج أهل السنة والجماعة في الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض، فالجمع بين النصوص أولى من ردها أو إهمال أحدها.

ثم إن دعوى التعارض بين الأدلة الشرعية الصحيحة غير ممكن، وقد حكي الباقلاني الإجماع على منع التعارض بين الأدلة الشرعية في الأمر نفسه مطلقاً، كما روى الخطيب البغدادي عنه ذلك فقال: "يقول الباقلاني وكل خبيرين علم أن النبي ﷺ تكلم بهما، فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين؛ لأن معنى التعارض بين

الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون موجب إحداهما منافياً لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كان أمراً أو نهياً، وإباحة أو حظراً، أو يوجب كون إحداهما صدقاً والآخر كذباً إن كانا خبرين والنبي ﷺ منزّه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة وكل مثبت للنبوّة<sup>(٣٩)</sup>، فالتعارض بين النصوص الشرعية سواء بين القرآن والسنة، أو بين الأحاديث فيما بينها غير ممكن؛ وسببه قلة العلم أو قصور في الفهم.

قال الشيخ ابن عثيمين: "إذا وقع التعارض عندك في نصوص الكتاب والسنة؛ فإما لقلّة العلم، وإما لقصور الفهم وإما للتقصير في البحث والتدبر، ولو بحثت وتدبرت لوجدت أن التعارض الذي توهمه لا أصل له"<sup>(٤٠)</sup>.

وقد استعمل هذه القاعدة كثير من أئمة العلم والدين في كسر المبتدعة وتفنيد شبهاتهم، كصنيع الإمام الشافعي -رحمه الله- في كتاب الرسالة، وفي كتاب مختلف الحديث، وكذلك الإمام أحمد -رحمه الله- في الرد على الجهمية والإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في كتاب مختلف الحديث، والطحاوي -رحمه الله- في مشكل الآثار وغير هؤلاء كثير من أئمة السنة<sup>(٤١)</sup>.

ثم إنه لو اكتفى الشيخ رشيد رضا بذكر الروايات الصحيحة واعتمد عليها وأهمّل غيرها من الروايات الموضوعية والمكذوبة وما أكثرها، لما وجد هناك تعارضاً فيما بين الأحاديث الصحيحة وإن كان هناك ما يوهم التعارض منها فقد بينه العلماء وشرح الحديث، وذلك بالجمع بين الروايات الصحيحة والترجيح بينها من دون رد لأي منها أو إهماله.

ونضرب لذلك مثلاً ليتضح المقصود، وذلك بذكر كيفية جمع القاضي عياض بين الرواية الصحيحة الواردة في الصحيحين في وصف عين الدجال اليمنى بالعمور.

وبيّن الرواية الصحيحة الأخرى الواردة في صحيح مسلم في وصف عين الدجال اليسرى بالعمور دون رد لأي منهما. حيث ذهب إلى أن عيني الدجال كليتهما معيبة؛ لأن الروايات كلها صحيحة، وتكون العين المطموسة والممسوحة هي العمور الطائفة بالهمز، أي: التي ذهب ضوءها وهي العين اليمنى كما في حديث ابن عمر<sup>(٤٢)</sup>.

وتكون العين اليسرى التي عليها ظفره غليظة، وهي الطافية بلا همز - معيبة أيضاً<sup>(٤٣)</sup>.

فهو أعمور العين اليمنى واليسرى معاً.

فكل واحد منهما عمور، أي: معيبة، فإن الأعمور من كل شيء، المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، فكلتا عيني الدجال معيبة عمور، إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبيها.

قال النووي في هذا الجمع: هو في نهاية من الحسن<sup>(٤٤)</sup>.

### المبحث الثالث:

#### نزول عيسى ابن مريم ﷺ.

#### المطلب الأول: رأي الشيخ رشيد رضا في نزول عيسى ﷺ.

رأى الشيخ رشيد رضا في نزول عيسى ﷺ لا يختلف عن رأيه فيما ورد في خروج المسيح الدجال؛ وذلك لأنه كما قلنا من قبل يرفض أي شكل من الأشكال الخارقة أو الخروج عن المؤلف، متابعاً في ذلك نهج المدرسة العقلية القديمة "المعتزلة"، والمدرسة العقلية الحديثة التي تُعدّ امتداداً لها، فهو يشكك في الأحاديث الواردة في نزول عيسى ﷺ.

ويثير مجموعة من الاستشكالات والتساؤلات حولها، كما فعل مع أحاديث المسيح الدجال والمهدي، معتقداً أنه باستطاعته رد تلك الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة بمجموعة استشكالات وتساؤلات لا قيمة لها أمام الكم الهائل من تلك الأحاديث

النبوية التي تنص وبشكل واضح على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، حيث يقول: "وأما أحاديث نزول عيسى عليه السلام فبعض أسانيدنا صحيحة، وهي على تعارضها واردة في أمر غيبي متعلق بأحاديث الدجال المتعارضة، كما تقدم بيانه أيضا في ذلك البحث، فينبغي أن يفوض أمرها إلى الله تعالى وأن لا تكون سبباً للتقصير في إقامة الدين والدنيا بما شرعه الله تعالى فيهما"<sup>(٤٥)</sup>.

وأجاب عن سؤال وجه إليه في مجلته المنار حول صحة اعتقاد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان - فأجاب بقوله: "إن القرآن ليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهر الإسلام إلى الآن بثها في المسلمين..."<sup>(٤٦)</sup>.

ثم تكلم عن الأحاديث الواردة في نزوله عليه السلام، حيث يقول: "والأحاديث الواردة في نزوله عليه السلام كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرها، وأكثرها واردة في أشراط الساعة، وممزوجة بأحاديث الدجال، وفي تلك الأشراط ولا سيما أحاديث الدجال والمهدي المنتظر اضطراب واختلاف وتعارض كثير..."<sup>(٤٧)</sup>.

بأن قال: (والخلاصة أنه لا يجب على مسلم أن يقف على تلك الأحاديث وأمثالها؛ لأنها ليست من أركان الإيمان ولا من أركان الإسلام ولا يضره في إيمانه وإسلامه الاشتباه في صحتها..."<sup>(٤٨)</sup>.

### المطلب الثاني: الرد على رأي الشيخ رشيد.

أولاً: بالنسبة لقوله عن الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام إن بعض أحاديثها صحيحة، فيه تجن على تلك الأحاديث، حيث يفهم من كلامه أن أكثر أحاديثها غير صحيحة ومكذوبة، وهذا بلا شك كلام غير صحيح، بل إن العكس هو الصحيح، وهو أن غالب أحاديثها صحيحة، سواء تلك الأحاديث التي في الصحيحين والتي هي في أعلى مراتب الصحة، أو تلك الأحاديث الأخرى الموجودة في السنن والمسانيد وغيرها من دواوين السنة.

والتي شهد بصحتها أكابر أهل العلم المختصين بالحديث كابن تيمية<sup>(٤٩)</sup>، وابن كثير<sup>(٥٠)</sup>، وابن حجر<sup>(٥١)</sup> والنووي<sup>(٥٢)</sup>، والحاكم<sup>(٥٣)</sup>، والشوكاني<sup>(٥٤)</sup>، والكتاني<sup>(٥٥)</sup>، والغماري<sup>(٥٦)</sup>، والكشميري<sup>(٥٧)</sup>، والألباني<sup>(٥٨)</sup>.

ثانياً: أما ادعاؤه أن الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام فيها تعارض، فهي دعوى سبق أن ذكرها في الأحاديث الواردة في المسيح الدجال والأحاديث الواردة في المهدي، وثبت عدم صحتها.

ثم إنني لا أدري أين هذا التعارض الذي أشار إليه الشيخ رشيد رضا؟ ولماذا لم يذكر هذا التعارض كعادته في إثارة الاستشكالات والتساؤلات، والسبب في نظري في عدم ذكره لهذا التعارض هو عدم الوقوف على حدين متعارضين حقيقة، فجعل المسألة مبهمه، ولم يبين أما إن كان يقصد التعارض والاختلاف في مدة بقائه بعد نزوله هل هي أربعين سنة أو سبع سنين، فقد ذكرنا أقوال أهل العلم في هذه المسألة، والتي رجحنا أن رواية "أربعين سنة" هي الأصح؛ لأنها رواية الأكثر.

ثم إن هذا الخلاف خلاف جزئي ومعتبر؛ لأن لكل دليله ولكن لا يصح أن يكون اعتبار هذا الخلاف حجة يرد بسببها تلك الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة التي تنص وبدلالة قطعية على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وإن اختلف في مدة مكوثه في الأرض.

ثالثاً: أما بالنسبة لقوله عن أحاديث نزول المسيح عليه السلام، بأنه ينبغي أن لا تكون سبباً للتقصير في إقامة الدين والدنيا بما شرعه الله، فهذا كلام طيب من الشيخ رشيد رضا، ولا يخالفه أحد في وجوب الأخذ بالأسباب وعدم التواكل، فنحن مأمورون

بأن نصدق بنزول عيسى عليه السلام وغيرها من الاعتقادات التي ثبتت بالنص الصحيح الصريح، والمؤمن الحق هو الذي يتوسط ويجمع بين العمل والتصديق من غير إفراط ولا تفريط<sup>(٥٩)</sup>.

رابعاً: بالسنة لقوله، بأنه ليس في القرآن نص صريح بأنه ينزل من السماء، فهي دعوى باطلة، وإلا فما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١]، فهذه الآية وما قبلها من الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام، والتي فيها دلالة على نزوله عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة، وبدل على ذلك القراءة الأخرى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ بفتح العين واللام، أي: علامة وأمارة على قيام الساعة، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير<sup>(٦٠)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير: "الصحيح أنه أي الضمير - عائد على عيسى عليه السلام، فإن الباقي في ذكره"<sup>(٦١)</sup>، بل وما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، فهي بلا شك عند نزول عيسى عليه السلام.

فقد روى ابن جرير الطبري -رحمه الله- عن أبي مالك -رحمه الله- قال عن هذه الآية: "ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به"<sup>(٦٢)</sup>، قال الحافظ بن كثير: "ولا شك إن هذا هو الصحيح"، لأن المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم بذلك من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، وقتلوا الشبه وهم لا يثبتون ذلك، فأخبر الله أنه رفعه إليه، وأنه باقٍ حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة"<sup>(٦٣)</sup>.

**خامساً:** أما دعواه أن الاعتقاد بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان أنها من عقائد النصارى، فهذا الكلام وإن كان فيه بعض الصحة وهو اعتقاد بعض النصارى بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، إلا أنه ليس دليلاً أو مسوغاً ترد بسببه عقيدة من عقائد المسلمين ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

ثم إن عقيدة المسلمين في عيسى ورفعه إلى السماء ومن ثم نزوله في آخر الزمان تختلف اختلافاً كبيراً عن ما يعتقده النصارى.

فهم يعتقدون أن عيسى هو ابن الله، وأن اليهود صلبوه وقتلوه، ورفع بعد صلبه بثلاثة أيام إلى السماء وهذا كله بلا شك باطل وغير صحيح.

ثم إن هناك الكثير من العقائد لدى المسلمين ويعتقد بمثلها النصارى بل واليهود، كاعتقادهم بنبوته إبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وغيرهم، فهل نترك ما ثبت لدينا بالكتاب والسنة ونرده ولا نؤمن به لا لشيء إلا لأنها من عقائد أهل الكتاب؟! فهذا كلام غير صحيح ولا يقول به إنسان من عامه الناس فضلاً عن أن يكون من أهل العلم.

**سادساً:** أما بالسنة لتشكيكه بصحتها بدعوى أنها واردة من ضمن أحاديث أشرطة الساعة، وممزوجة بأحاديث الدجال والمهدي، والتي يرى هو أنها مكنوبة وموضوعة. فقد بينا فيما سبق في مبحث المسيح الدجال أن هناك من أحاديث أشرطة الساعة ما هو مكذوب ومنها ما هو صحيح، فهل من الإنصاف ومن العدل رد الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى عليه السلام بدعوى أنها قد تكون من ضمن تلك الأحاديث المكنوبة، دون الالتفات إلى الأحاديث الأخرى الصحيحة الصريحة المتواترة التي وردت في نزول عيسى عليه السلام؟!!

**سابعاً:** بالنسبة لقوله: "إنه لا يجب على المسلم أن يقف على تلك الأحاديث وأمثالها..."، ويقصد بها أحاديث أشرطة الساعة

وأحاديث الاعتقاد.

"لأنها ليست من أركان الإيمان ولا من أركان الإسلام، ولا يضره في إيمانه وإسلامه الاشتباه في صحتها..."، أي بما أن أحاديث أشراف الساعة ليست من أركان الإسلام ولا من أركان الإيمان، فإنه لا يضره إنكار وقوعها وعدم الاعتقاد بها. وإن كنا لا نستغرب هذا الموقف من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إلا أننا نستغربه من محمد رشيد رضا وهو العالم بالسنة. فكيف يرد أحاديث ثابتة عن المعصوم عليه السلام بأصح المسانيد في أصح الكتب بعد كتاب الله، وهما صحيح البخاري ومسلم، بدعوى أنها ليست من أركان الإسلام أو الإيمان ولا يضره إنكارها. فالإسلام ليس محصوراً في أركان الإسلام والإيمان، وهناك الكثير من الأمور التي لا يصح إيمان المرء إلا بها ويكفر إذا جدها، وليست من أركان الإسلام والإيمان؛ لثبوتها بدليل قطعي الثبوت والدلالة.

مثال ذلك: التصديق بوجود الجن، والتصديق بأن محمداً عليه السلام خاتم النبيين، واعتقاد براءة عائشة رضي الله عنها - من الزنى، وغيرها الكثير. ورحم الله الشيخ أحمد شاکر عندما قال: "نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون؛ لورود الأخبار الصحاح عن النبي عليه السلام بذلك وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره" (٦٤).

وقال في تعليقه على مسند الإمام أحمد: "وقد لعب المجددون أو المجددون في عصرنا الذي نحيا فيه بهذه الأحاديث الدالة صراحةً على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا، بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى؛ ذلك أنهم في حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغييب أو لا يكادون يؤمنون، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل" (٦٥).

إن المتأمل لرأي رشيد رضا في الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يعلم علم اليقين بأن رأيه هذا نابع من تأثره بآراء وأفكار شيخه وأستاذه محمد عبده، الذي لم يستطع التخلص من آثار آرائه الكلامية والفلسفية عليه حتى بعد موته بزمان طويل.

حيث يقول محمد عبده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَأُفِعْكَ إِلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٥٥]، إن المراد بالتوفي هنا الإماتة العادية، وإن الرفع بعد ذلك هو رفع الروح (٦٦).

ثم قال، ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان:

**أحدهما:** أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي؛ لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي؛ لأن المطلوب فيها اليقين، وليس في الباب حديث متواتر.

**وثانيهما:** تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه، وسر رسالته على الناس، وما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة. دون الوقوف عند ظواهرها، والتمسك بقشورها دون لبابها، وهو حكمتها، وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت اليهود بشريعة جديدة، ولكنه جاءهم بما يرحزهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام، ويوقفهم على فقهاها، والمراد منها، ويأمرهم بمراعاته، وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح، بتحري كمال الآداب... فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية، لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر (٦٧). وقال الشيخ رشيد معقبا على كلام أستاذه: "هذا ما قاله الأستاذ الإمام في الدرس مع بسط وإيضاح، ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه، ولأهل هذا التأويل أن يقولوا: إن هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه" وأضاف قائلاً: "وسئل عن المسيح الدجال، وقتل عيسى له، فقال: إن الدجال رمز

للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها، وأن القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والأسرار وسنة الرسول ﷺ مبنية لذلك فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك<sup>(٦٨)</sup>.

من كل ما سبق، نتبين أن المسلك الذي سلكه الأستاذ الإمام وتلميذه مسلك خطر، فالأحاديث في نزول عيسى عليه السلام والدجال، أحاديث صريحة صحيحة، وليست من الآحاد في شيء، ثم دعوى أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في شؤون العقائد دعوى غير مسلمة؛ فمحور الأمر كله يدور على صحة الحديث، وأخطر من هذا المسلك مسلك التأويل لهذه الأحاديث وهذا قريب من تأويل الباطنية، وما كان ينبغي له أن يخوض مثل هذا الخوض، وإذا فتح باب التأويل على هذا المنوال، فإن جميع النصوص سيلحق بها هذا الظن، وللناس مشارب مختلفة، فمن يمنع كل واحد إن أن يؤول كل ما لم يقتنع به، أو ما له هوى في تأويله؛ من أجل أن يوافق مذهبه وهواه<sup>(٦٩)</sup>.

### المبحث الرابع:

### المهدي المنتظر.

#### المطلب الأول: تواتر أحاديث المهدي.

صرح الكثير من أهل العلم أن أحاديث المهدي بلغت من الكثرة أنها متواترة تواتراً معنوياً، وسوف أذكر هنا جملة من أقوالهم في النص على تواترها:

١- قال الحافظ أبو الحسن الأبري<sup>(٧٠)</sup>: "قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه<sup>(٧١)</sup>."

٢- وقال محمد البرزنجي<sup>(٧٢)</sup> في كتابه "الإشاعة لأشرطة الساعة": "الباب الثالث في الأشرطة العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة، وهي كثيرة، فمنها المهدي، وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تتحصر"<sup>(٧٣)</sup>.

وقال أيضاً: "قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة -عليها السلام- بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها"<sup>(٧٤)</sup>.

٣- وقال العلامة محمد السفاريني<sup>(٧٥)</sup>: "وقد كثرت بخروجه -أي: المهدي- الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عد من معتقداتهم."

ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي، وأسماء بعض الصحابة ممن رواها، ثم قال: "وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم ﷺ بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة"<sup>(٧٦)</sup>.

٤- وقال الشوكاني: "الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصراحة بالمهدي، فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك"<sup>(٧٧)</sup>.

٥- وقال صديق حسن خان<sup>(٧٨)</sup>: "الأحاديث الواردة فيه -أي: المهدي- على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد"<sup>(٧٩)</sup>.  
وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني<sup>(٨٠)</sup>: "والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متوافرة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام".

### المطلب الثاني: رأي رشيد رضا في أحاديث المهدي.

يرى الشيخ رشيد رضا أن الأحاديث الواردة في ظهور المهدي في آخر الزمان لا يصح منها شيء. وذكر جملة من الاستشكالات والتساؤلات التي بسببها رد تلك الأحاديث. وسوف أذكر هنا أهم تلك الاستشكالات والتساؤلات التي أثارها في تفسيره المنار تحت عنوان: "التعارض والإشكالات في أحاديث المهدي" ثم بعد ذلك أذكر الرد على هذه الاستشكالات والتساؤلات.  
ذكر الشيخ رشيد رضا أن أحاديث المهدي متعارضة والمنكرون لها أكثر؛ ولذلك لم يعتد بها الشيخان، حيث يقول "وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيها أعسر، والمنكرون لها أكثر، والشبهة فيها أظهر، ولذلك لم يعتد الشيخان بشيء من روايتها في صحيحهما"<sup>(٨١)</sup>.  
ثم ذكر نماذج من تعارض أحاديث المهدي وتهافتها كما يزعم ومن ذلك قوله: "إن أشهر الروايات في اسمه واسم أبيه عند أهل السنة أنه محمد بن عبد الله، وفي رواية أحمد بن عبد الله، والشيعية الإمامية متفقون على أنه محمد بن الحسن العسكري، وهما الحادي عشر والثاني عشر من أئمتهم المعصومين، ويلقبون بالحجة، والقائم، والمنتظر، وزعمت الكيسانية<sup>(٨٢)</sup> أن المهدي هو محمد بن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوي..."<sup>(٨٣)</sup>.  
ثم قال: "المشهور من نسبه أنه علوي فاطمي من ولد الحسن وفي بعض الروايات من ولد الحسين، وهو يوافق قول الشيعة الإمامية، وهناك أحاديث عدة مصرحة بأنه من ولد العباس"<sup>(٨٤)</sup>.  
ويزعم أن سبب الاختلاف في الروايات هو كونها موضوعة، حيث يقول: "وسبب هذا الاختلاف أن الشيعة كانوا يسعون لجعل الخلافة في آل الرسول ﷺ من ذرية علي -سلام الله ورضوانه عليهم- ويضعون الأحاديث تمهيداً لذلك، ففطن لهذا الأمر العباسيون فاستمالوا بعضهم، ورأى أبو مسلم الخراساني وعصبيته أن آل علي يغلب عليهم الزهد، وأن بني العباس كيني أمية في الطمع في الملك، فعمل لهم توسلاً بهم إلى تحويل عصبية الخلافة إلى الفرس؛ تمهيداً لإعادة الملك والمجوسية، وحينئذٍ وضعت أحاديث المهدي مشيرة إلى العباسيين مصرحة بشارتهم "السواد" وأشهرها حديث ثوبان المرفوع في سنن ابن ماجه: "يقتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا تصير إلى واحدٍ منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونهم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئاً لا أحفظه - فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي"<sup>(٨٥)</sup>.  
ثم ذكر بعد ذلك أن الأحاديث الواردة في المهدي سبب للفساد والفتن، حيث يقول: "وقد كانت أكبر مآثرات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية؛ إذ تصدى كثير من محبي الملك والسلطان، ومن أولياء الولاية وأولياء الشيطان، لدعوى المهدي في الشرق والغرب، وتأييد دعواهم بالقتال والحرب، وبالبدع والإفساد في الأرض، حتى خرج ألوف الألوف عن هداية السنة النبوية، ومرق بعضهم من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"<sup>(٨٦)</sup>.



**المطاب الثالث: الرد على استشكالات الشيخ وتساؤلاته.**

**أولاً:** إن دعوى التعارض بين الأحاديث النبوية دعوى دائماً ما يرددها ويكررها الشيخ رشيد رضا، فهو يرى أن هذه الدعوة كفيفة برد الحديث وإسقاطه ولو كان من أصح الأحاديث، بل ولو كان حتى من أحاديث الصحيحين، كالأحاديث الواردة في المسيح الدجال والتي غالبها في الصحيحين، والتي قال عنها: "إنها متعارضة تعارضاً كثيراً يوجب تساقطها"<sup>(٨٧)</sup>. والتي في الأخير أنكرها كلها.

وهو الآن يدعي الدعوة نفسها التي ادعاها في الأحاديث الواردة في المسيح الدجال، يدعيها في الأحاديث الواردة في المهدي؛ وذلك تمهيداً منه وتوطئة للقول بأنها منكرة.

ومشكلة الشيخ رشيد رضا كما قلنا من قبل في مبحث المسيح الدجال ونقوله هنا وهو أنه -رحمه الله- وغفر له، يمزج بين الروايات الصحيحة والضعيفة بل وحتى الموضوعية، ثم يبني على ذلك نتائجها وما توصل إليه، ولو أنه أزاح الروايات الضعيفة والموضوعية واكتفى بالروايات الصحيحة، لما وجد أي تعارض بين تلك الروايات.

فأحاديث المهدي فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، فما كان منها موضوعاً أو ضعيفاً لا يحتج به، فإنه لا يلتفت إليه، ولا يعارض به غيره، أما ما صح منها فهو مؤلف غير مختلف ومتفق غير مفترق<sup>(٨٨)</sup>.

فالشيخ رشيد رضا يستعمل هنا الأسلوب والمنهج نفسيهما الذي تعامل بهما مع الأحاديث الواردة في المسيح الدجال، فهو يستشهد بالأحاديث الضعيفة بل والموضوعية ثم يدعي بعد ذلك التعارض والتناقض فيما بينها، وهذا بلا شك نتيجة حتمية وطبيعية عند الجمع بين الروايات الصحيحة وغير الصحيحة.

ثم إننا لا ندري، أيتعمد الشيخ رشيد رضا الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعية الواردة في المهدي ليثبت أن هناك تناقضاً وتعارضاً فيما بينها؟

أم أنه لا يعلم ولا يدري بأن هذه الأحاديث ضعيفة وموضوعية، وكلا القولين لا يليقان به وهو العالم بالسنة والملقب بمحي السنة في زمنه؟

ثم إننا نقول هنا كما قلنا من قبل في مبحث المسيح الدجال، وهو أن التعارض بين الروايات الصحيحة مستحيل وغير ممكن، وإن كان ظاهرهما التعارض، وقد حكي الباقلاني الإجماع على منع التعارض بين الأدلة الشرعية في الأمر نفسه مطلقاً، كما روى الخطيب البغدادي عنه ذلك فقال: "يقول الباقلاني وكل خبرين علم أن النبي ﷺ تكلم بهما، فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين؛ لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون موجب إحداها منافياً لموجب الآخر وذلك يبطل التكليف إن كان أمراً ونهياً أو إباحة وحظراً، أو يوجب كون إحداها صدقاً والآخر كذباً إن كانا خبرين، والنبي ﷺ منزه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة وكل مثبت للنبوته"<sup>(٨٩)</sup>.

**ثانياً:** أما احتجاجه في ردها بدعوى أن الشيخين لم يخرجوا شيئاً من روايتها في صحيحهما، وذلك لضعفها.

فإنها دعوى مردود عليها من وجوه:

١- إن الصحيح كما هو موجود في الصحيحين فإنه موجود في غيرهما، فهما لم يستوعبا كل الصحيح ولا اشترطوا ذلك أبداً، فقد قال ابن حجر في مقدمته فتح الباري: إن الإسماعيلي قد روى عن البخاري أنه قال: "لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً وما تركت من الصحيح أكثر"<sup>(٩٠)</sup>، وقال مسلم في صحيحه في آخر باب التشهد في الصلاة: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه"<sup>(٩١)</sup>.

## مشاري المطرفي ومحمد خير العمري

ومما يدل على أن البخاري لم يستوعب كل الأحاديث الصحيحة، قوله: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح"<sup>(٩٢)</sup>، مع أن جملة ما في صحيحه من الأحاديث المسندة إلى النبي ﷺ بما في ذلك الأحاديث المعلقة لا تبلغ عشرة آلاف حديث مع المكرر.

فالصحيح كما أنه موجود في الصحيحين، فهو موجود في غيرهما من الكتب المؤلفة في الحديث النبوي، كموطأ مالك، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والدار قطني والبيهقي، ومسند الإمام أحمد، وغيرها.

قال ابن كثير: "إن البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يُحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما، كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده بل في السنن وغيرها"<sup>(٩٣)</sup>.

ثم إن هناك الكثير من العقائد لدى أهل السنة والجماعة، مصدرها أحاديث صحيحة في غير الصحيحين، مثل الحديث المشتمل على العشرة المبشرين في الجنة ﷺ، فإنه في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره وليس في الصحيحين، ومثل حديث البراء بن عازب الطويل في نعيم القبر، الذي وصف فيه النبي ﷺ ما يجري عند الموت حتى البعث وهو في مسند الإمام أحمد وغيره، وكذا الحديث الذي فيه تسمية الملكين السائلين في القبر بالمنكر والنكير، فهو لم يرد في الصحيحين، وكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره الدال على وزن الأعمال وهو حديث البطاقة والسجلات وهو لم يرد في الصحيحين، والحاصل أن الأحاديث إذا كانت صحيحة يجب العمل بموجبها سواء كانت في الصحيحين أو في غيرهما، ومن ذلك أحاديث المهدي<sup>(٩٤)</sup>.

### المبحث الخامس:

#### طلوع الشمس من مغربها.

#### المطلب الأول: رأي رشيد رضا في طلوع الشمس من مغربها.

رأي رشيد رضا في الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان لا يختلف عن رأيه في الأحاديث الواردة في المسيح الدجال والمهدي ونزول عيسى ابن مريم ﷺ.

وذلك لأن المنهج الذي يتعامل به مع هذه الأحاديث منهج واحد، وهو رفضه لأي شكل من الأشكال الخارقة أو المخالفة للمألوف، ومحاولة رد تلك الأحاديث الصحيحة بإثارة الاستشكالات والتساؤلات العقلية حولها؛ تمهيداً لردّها والتشكيك في صحتها.

حيث يقول عن الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها: "وأقوى الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها، ما رواه البخاري في كتاب الرقاق عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين: "لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً". وأخرج الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة أيضاً، وقد رفعه ثلاثاً إذا خرجت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"<sup>(٩٥)</sup>.

وهو مشكل مخالف للأحاديث الأخرى الواردة في نزول عيسى بعد الدجال وإيمان الناس به، والمشكلات في الأحاديث الواردة في أشرطة الساعة كثيرة، أهم أسبابها فيما صحت أسانيد، وأضررت المتن، وتعارضت أو أشكلت من وجوه أخرى، وأن هذه الأحاديث رويت بالمعنى، فاختلف التعبير باختلاف الأفهام، على أنهم اختلفوا في ترتيب هذه الآيات وما استشكل أن

علة عدم قبول الإيمان بعد طلوع الشمس من مغربها لا تنطبق على من رآها أو رويت له بالتواتر".  
ثم قال: "هذا وإن أبا هريرة رضي الله عنه، لم يصرح في هذه الأحاديث بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الأحبار وأمثاله، فتكون مرسله"<sup>(٩٦)</sup>.

### المطلب الثاني: الرد على رشيد رضا في طلوع الشمس من مغربها.

في الحقيقة، إن الأحاديث الواردة في إثبات طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان، أحاديث صحيحة وصرحة وغالبها في الصحيحين وهي واضحة المعنى بحيث لا تحتل التأويل أو التشكيك، فلماذا لم يستطع الشيخ رشيد رضا إثارة الاستشكالات والتساؤلات حولها كما أثار الاستشكالات والتساؤلات الكثيرة حول أحاديث المسيح الدجال وأحاديث المهدي. فلماذا وذاك ذهب للتشكيك بصحتها بدعوى الاختلاف في الترتيب، حيث يقول عن الرواية: "إنهم اختلفوا في ترتيب هذه الآيات"<sup>(٩٧)</sup>.

وفي الحقيقة، ليس هناك إشكال في مسألة ترتيب هذه الآيات، وإنما الإشكال فعلا هو عد رشيد رضا لما هو غير المشكل مشكلاً.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب"<sup>(٩٨)</sup>.

قال البرزنجي في الإشاعة: وهذا جمع حسن -رحمه الله-<sup>(٩٩)</sup>.

### الخاتمة.

وتشمل على أهم نتائج البحث، وهي:

- يرى الشيخ رشيد رضا أن الأحاديث الواردة في أشرطة الساعة الكبرى. كالأحاديث الواردة في خروج المسيح الدجال. والأحاديث الواردة في المهدي. والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام. والأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها. يرى أنها من الأحاديث المشككة، وأن فيها الكثير من التعارض والتناقض والاختلاف فيما بينهما. وأن فيها مخالفة للعقل والحس والسنن الكونية والإلهية مما يوجب ردها وعدم اعتقاد صحتها وعدم الإيمان بها<sup>(١٠٠)</sup>.
- إن علامات وأشرطة الساعة تنقسم إلى قسمين: وهي علامات صغرى: وهي التي تكون قبل قيام الساعة بأزمنة طويلة والتي ظهر الكثير منها، وعلامات كبرى: وهي التي تكون قرب قيام الساعة والتي لم يظهر منها إلى الآن شيء.
- إن ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، وجب الإيمان بها وقبولها ولا يجوز ردها باستشكالات وتساؤلات عقلية لا قيمة لها أمام النص الصحيح، حتى ولو لم يستوعبه العقل في مرحلة معينة.
- يعد الشيخ محمد رشيد رضا من أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، بل هو أحد رموزها والتي هي امتداد للمدرسة العقلية القديمة "المعتزلة".
- إن للشيخ محمد رشيد رضا العديد من الآراء العقيدية التي يكفي بالحكم على من قال ببعضها إنه إلى فكر الاعتزال أقرب منه للفكر السلفي والأشعري والماتريدي.

- إن الأحاديث الواردة في خروج المسيح الدجال في آخر الزمان أحاديث صحيحة صريحة متواترة أغلبها في الصحيحين وما ذكره رشيد رضا من استشكالات وتساؤلات حول هذه الأحاديث لا يصمد أمام هذه الآثار النبوية. ولا تقوى على ردها.
- إن الأحاديث الواردة في ظهور المهدي في آخر الزمان أحاديث صحيحة صريحة متواترة، وما ذكره رشيد رضا من استشكالات وتساؤلات حول هذه الأحاديث لا يصمد أمام هذه الآثار النبوية، ولا ترقى إلى ردها.
- إن الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، أحاديث صحيحة صريحة متواترة تواترا معنويا أغلبها في الصحيحين، وما ذكره رشيد رضا من استشكالات وتساؤلات حول هذه الأحاديث لا يصمد أمام هذه الآثار النبوية، ولا ترقى إلى ردها.
- إن الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان، أحاديث صحيحة صريحة متواترة أغلبها في الصحيحين، وما ذكره رشيد رضا من استشكالات وتساؤلات حول هذه الأحاديث لا يصمد أمام هذه الآثار النبوية، ولا ترقى إلى ردها.
- إن آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أسرار الساعة الكبرى، لها آثار فكرية سيئة، فهي قد فتحت باباً للطعن في السنة النبوية وفي الصحيحين، وتشكيك المسلمين في عقائدهم، وإحياء تراث المعتزلة وإيجاد الجرأة على الثوابت الإسلامية.
- خطورة فتح باب التأويل العقلي للنصوص في مجال العقيدة، الأمر الذي حذر منه علماء السلف جميعاً ووقع فيه كثير من علماء الخلف بحسن نية.

## الهوامش.

- (١) مجد الدين المبارك بن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الفكر، (ط٢)، ١٣٩٩هـ، ٤٦٠/٢. وأبو الفضل بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٣٢٩/٧، ٣٣٠.
- (٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ص ٣٢٨.
- (٣) ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ٤٦٠/٢.
- (٤) لسان العرب، ٣٢٩/٧. والنهاية في غريب الحديث، ٤٦٠/٢.
- (٥) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل، ٤٣/١، رقم ٨٠. وصحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضة وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ٢٠٥٦/٤، رقم ٢٦٧١.
- (٦) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة، ٢٣٨٢/٥، رقم ٦.
- (٧) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ٣٦/١، رقم ٨.
- (٨) صحيح مسلم، كتاب: الفتن باب: الآيات التي تكون قبل قيام الساعة، ٢٢٢٥/٤، رقم ٢٩٠١.
- (٩) نفس المصدر السابق.
- (١٠) نفس المصدر السابق.
- (١١) نفس المصدر السابق.
- (١٢) صديق حسن خان القنوجي، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٥١.
- (١٣) ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: طه زيني، دار النصر للطباعة، مصر، (ط١)، ١٠٢/١.

- (١٤) أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٨٣/٤.
- (١٥) جعفر الحسيني الكتاني، نظم المتناثر في الحديث المتواتر، دار الكتب السلفية، مصر، ٢٢٩/١.
- (١٦) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الأنوار الكاشفة، دار عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، ص ٢٣٣.
- (١٧) نفس المصدر والصفحة.
- (١٨) الأنوار الكاشفة، ص ٢٣.
- (١٩) حسان بن عطية المحاربي، مولاها، أبو بكر الدمشقي، ثقة فقيه عابد، من الطبقة الرابعة، مات بعد العشرين ومئة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. ينظر: تقريب التهذيب، ١/١٦٢.
- (٢٠) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ٧٧/٦.
- (٢١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٩٩/١٣.
- (٢٢) تفسير المنار، ٩/٤٨٩-٤٩٠.
- (٢٣) ينظر: تفسير المنار، ٩/٤٩٠-٤٩١.
- (٢٤) تفسير المنار، ٩/٤٩١.
- (٢٥) ينظر: نفس المصدر، ص ٩/٤٩٤.
- (٢٦) فضل حسن عباس، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م، ص ١٨٤.
- (٢٧) شفيق شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص ٢٩٧.
- (٢٨) محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، دار المنهاج، ١٤٢٥هـ، ص ٦٢٤.
- (٢٩) ابن كثير، النهاية في الفتن والملامح، دار الجيل، بيروت، (ط ٢)، ١٩٨٨م، ١/١٢٠.
- (٣٠) فتح الباري، ١٣/١٠٥.
- (٣١) المرجع السابق، ١٣/٩٢. وقال عن سند الحديث: بأنه حسنٌ صحيح.
- (٣٢) للاستزادة ينظر: مقدمة النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص ١٤٩، فصل في ألفاظ يتداولها أهل الحديث.
- (٣٣) شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م، ص ٥٥.
- (٣٤) نفس المصدر والصفحة.
- (٣٥) ابن تيمية، جامع الرسائل، ص ٥٢.
- (٣٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/٣٩٧٧.
- (٣٧) ينظر: ثامر محمد متولي، منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة، دار ماجد عسيري، ٢٠٠٤م، ص ٨٤٢.
- (٣٨) يوسف الوابل، أشرطة الساعة، دار ابن الجوزي، (ط ٤)، ص ٢٨٠.
- (٣٩) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص ٤٣٣.
- (٤٠) ابن عثيمين، شرح الواسطية، دار ابن الجوزي، (ط ٤)، ١٤٢٧هـ، ص ٧٠.
- (٤١) عثمان علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، مكتبة الرشد، ١٩٩٢م، ١/٣٤٨.
- (٤٢) صحيح البخاري، كتاب: الفتن، باب: ذكر الدجال، ٦/٢٦٠٧، رقم ٦٧٠٩.
- (٤٣) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ١/١٥٤، رقم ١٦٦٩.
- (٤٤) ينظر: شرح النووي على مسلم، ٢/٢٣٥.
- (٤٥) تفسير المنار، ١٠/٣٩٤.
- (٤٦) مجلة المنار، ٢٨/٧٥٥-٧٥٦.

- (٤٧) مجلة المنار، ٧٥٥/٢٨-٧٥٦.
- (٤٨) نفس المصدر، ص ٧٥٧.
- (٤٩) ينظر: مجموع الفتاوي، ٣٢٢/٤، ٣٢٩/٤.
- (٥٠) النهاية/الفتن والملاحم، ١٣١/١، ١٣٧/١.
- (٥١) فتح الباري - شرح صحيح البخاري، ٤٩٢/٦.
- (٥٢) شرح النووي على مسلم، ١٩٣/٢-١٩٤.
- (٥٣) مستدرک الحاكم، ٥٩٥/٢.
- (٥٤) محمد بن علي الشوكاني، التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح، ص ٩٨.
- (٥٥) محمد بن جعفر الكتاني، نظم المتناثر في الحديث المتواتر، دار الكتب السلفية، ص ١٤٧.
- (٥٦) محمد صديق حسن القنوجي، الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٥٩-١٦١.
- (٥٧) محمد أنور شاة، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.
- (٥٨) محمد ناصر الدين الألباني، المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه، المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ.
- (٥٩) شفيق شقير، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص ٣٣٨.
- (٦٠) تفسير القرطبي، ١٠٥/١٦. وينظر: تفسير الطبري، ٩٠/٢٥.
- (٦١) تفسير ابن كثير، ٢٢٢/٧.
- (٦٢) الطبري، تفسير ابن جرير، ١٨/٦.
- (٦٣) تفسير ابن كثير، ٥١٤/١.
- (٦٤) حاشية "تفسير الطبري"، ٤٦٠/٦، تخريج: أحمد شاكر.
- (٦٥) حاشية "مسند الإمام أحمد"، ٢٥٧/١٢.
- (٦٦) تفسير المنار، ٣١٦/٣.
- (٦٧) ينظر: نفس المصدر، ٣١٦/٣-٣١٧.
- (٦٨) نفس المصدر.
- (٦٩) ينظر: فضل حسن عباس، اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا، ص ٢٧٠.
- (٧٠) هو الإمام الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين السجستاني، كان مجوداً ثبناً مصنفاً، روي عن ابن خزيمة وطبقته، وله كتاب: "مناقب الشافعي"، (توفي سنة ٣٦٣هـ) -رحمة الله-. ينظر: تذكرة الحفاظ، ٩٥٤-٩٥٥/٣. وشذرات الذهب، ٤٦/٣-٤٧.
- (٧١) جلال الدين السيوطي، العرف الوردي في أخبار المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧م، ٨٥/٢.
- (٧٢) هو الشيخ محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسني البرزنجي من فقهاء الشافعية، له علم بالتفسير والأدب، رحل إلى بغداد ودمشق ومصر، واستقر في المدينة، ودرس بها، وفيها توفي سنة ١١٠٣هـ، وله مؤلفات عدة -رحمة الله-. ينظر: الزركلي، الأعلام، ٢٠٣-٢٠٤. وتعبيد الأسماء لغير الله تعالى لا يجوز.
- (٧٣) محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة، ٢٠٠٥م، ص ٨٧.
- (٧٤) نفس المصدر، ص ١١٢.
- (٧٥) هو العلامة محمد سالم السفاريني، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق ولد في سفارين، من قرى نابلس، له مؤلفات عدة، وله منظومة في العقيدة وشرحها، سماها "لوامع أو لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضيئة لشرح الدرّة المضيئة في عقد الفرقة المرضية"، وله "غذاء الألباب: شرح منظومة الآداب" وله نفاثات صدر المكمد وقرّة عين المسعد شرح ثلاثيات

- مسند الإمام أحمد وغيرها"، توفي -رحمة الله- سنة ١١٨٨هـ في نابلس. ينظر ترجمته في: الزركلي، الأعلام، ١٤/٦.
- (٧٦) لوامع الأنوار البهية، ٨٤/٢. وينظر: عقيدة أهل السنة والأثر، ص ١٧٣.
- (٧٧) من رسالة للشوكاني اسمها: "التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح" ذكر ذلك صديق حسن في كتابة: الإذاعة، ص ١١٣-١١٤. ونقل ذلك أيضاً: عن الشوكاني الكتاني في كتابة: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص ١٤٥-١٤٦.
- (٧٨) هو العلامة محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي، صاحب المصنفات في التفسير والحديث والفقه والأصول، نزل ببهبوبال، وتزوج بملكته، وتوفي سنة ١٣٠٧هـ. ينظر: الأعلام، ١٧٦/٧-١٦٨، ص ١١٢.
- (٧٩) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ص ١١٢.
- (٨٠) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، مؤرخ ومحدث ولد في فاس، ورحل إلى الحجاز ودمشق، ثم عاد إلى المغرب، وتوفي في فارس -رحمة الله- سنة ١٣٤٥هـ، وله مصنفات عدة. ينظر: الأعلام، ٧٢/٦-٧٣.
- (٨١) تفسير المنار، ٤٩٩/٩.
- (٨٢) الكيسانية إحدى فرق الرافضة، وهم أتباع المختار بن أبي عبيد الله الثقي الكذاب وينسبون إلى كيسان مولى علي ؑ، وقيل كيسان لقب لمحمد بن الحنفية، الفرق بين الفرق، ص ٣٨، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
- (٨٣) تفسير المنار، ٥٠١/٩.
- (٨٤) نفس المصدر، ٥٠٢/٩.
- (٨٥) نفس المصدر، ٥٠٢/٩.
- (٨٦) نفس المصدر، ٤٩٩/٩.
- (٨٧) نفس المصدر، ٤٨٩/٩.
- (٨٨) عبد المحسن العباد البدر، الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، المنورة، مطابع الرشيد، (ط١)، ١٤٠٢هـ، ص ٢٥.
- (٨٩) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص ٤٣٣.
- (٩٠) ابن حجر العسقلاني، هدي الساري في مقدمة فتح الباري، ص ٩.
- (٩١) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، ٣٠٤/١.
- (٩٢) علوم الحديث، ص ١٦.
- (٩٣) ابن كثير، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد شاکر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٥.
- (٩٤) عبد المحسن العباد، الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، مطابع الرشيد، (ط١)، ١٤٠٢هـ، ص ٦٣.
- (٩٥) تفسير المنار، ٢١١/٨-٢٢١.
- (٩٦) نفس المصدر.
- (٩٧) نفس المصدر، ٢١٠/٨.
- (٩٨) فتح الباري، ٣٥٣/١١.
- (٩٩) الإشاعة، ص ٣٥٠.
- (١٠٠) ينظر: تفسير المنار، ٤٨٨/٩.